حجة تاريخية

للدكتور جواد علي

نعم حجة تاريخية من تلك الحجج التي يتذرع بها المدّعون ولكنها من أوهى ما عرفه المؤرخون. فلسطين وطن العبرانيين ا
— فيها نشأ هذا الشعب وإليها يريد العودة بعد هجرة طويلة تزيد على عشرين قرناً. يريد أن يستردها وأن يكون فيها ثقافة يهودية ووطناً يجمع شمل يهود العالم.

لا أعتقد أن رجلا صاحب منطق يجازف بشخصيته فيقول مثل هذا القول؛ لأن نبش الماضي السحيق والحكم عليه معناه تغيير خارطة العالم وتوزيع الأراضي على شكل جديد. ولو أخذنا بهذا المبدأ لوجب علينا ردّ دعوى الصهيونية مقدماً لأن الأرض التي يقال لها عند اليهود «أرز أسرائيل» « Erety israel » أي «أرض إسرائيل» لم تكن أرض إسرائيل بل كانت « أرض الكنعانيين » و « أرض الفلسطينيين » قبل أن يتبرع متعصبو
— التوراة بمنح هذه الأرض إلى الإسرائيليين باسم « إله إسرائيل » وقبل أن تعرف عند العبرانيين المتأخرين باسم « أرض الميعاد » . « the Promised land »

وكلمة « فلسطين » نفسها حجة قوية تطعن مزاعم الصهيونيين في الصميم وتردّ دعواهم، لأنها تشير إلى نسبة الأرض إلى شعب قديم كان يسكن في هذا الموضع قبل مجيء العبرانيين وكان يقال له « الفلسطينون » « Philstines » وقد عرفت الأرض التي كانوا يقيمون بها والتي هي السهل الساحلي في الأغلب
— في التوراة باسم « فلسطيا » « Philistia » نسبة إلى هذا الشعب[1] ثم أطلقت على كل الأراضي التي أقام بها الإسرائيليون فيما بعد.

وقد ذكرت فلسطين في النصوص العبرانية بلفظة « Pêlishtim » بلشتيم » و « بلشتيم » « Pêlishtiyyim » وقيل « لفلسطية » وهي المنطقة التي كان يقيم فيها «الفلسطينون» « Pelesheth » « بايشيت » وقيل للفلسطينيين « Pelishti » « بلشتى »[1] وتقابلها في النصوص المصرية « Perusit » و « Pelista. »[2].

ولابد أن تكون للفلسطينيين قوة وشكيمة دفعت اليهود إلى تسمية « أرز كنعان » أي « أرض كنعان » كما كانت تعرف في الأسفار الأولى للتوراة باسم « فلسطين » حتى تغلبت على كلمة « أرز إسرائيل » أي أرض إسرائيل. والأرض الموعودة. وقد أطلقها الكتاب اليهود المتأخرون الذين دونوا الأسفار المتأخرة فشاعت بين الشعوب الأخرى منذ ذلك الحين. وقد ذكر المؤرخ « هيرودوتس » أن العرب كانوا قد تمكنوا من الدخول إلى منطقة « فلسطية » قبل أن يتمكن من ذلك الإسرائيليون وأنهم كانوا في تلك المنطقة في أيامه[3].

لم يترك البشر الأولون الذين سكنوا هذه المنطقة قبل العصور التأريخية آثاراً يمكن التعرف منها على طبيعتهم. وكل ما يمكن أن يقال عنهم إنهم كانوا يسكنون المغاور والكهوف ويظهر أنها أصبحت في العصور التاريخية تحت نفوذ «الأكاديين» كما يتبين ذلك من النقوش[4].

وفي الألف الثالث قبل المسيح كان يقيم في فلسطين شعب لا نستطيع أن نعرف عن هويته شيئاً؛ إذ أن العظام التي عثر عليها في المغاور والكهوف وفي الحفريات التي أجريت في منطقة « جيزر » كانت في حالة تلف شديد. والظاهر أن ذلك الشعب كان من شعوب البحر الأبيض المتوسط. ولعل « الحوريين » « horites » الذين ورد ذكرهم في التوراة هم من نسل هذا الشعب القديم[5]. ويظهر مما ورد في التوراة كذلك أن « الحوريين » هم سكنة منطقة « أدوم » و « جبل سعير » وأنهم من نسل « عيسو » « Essou » الذي هو جدّ الأدوميين « Edonite » وأنهم كانوا من سكنة الكهوف في المنطقة التي أطلق عليها اليونان اسم « troglsdytes » والتي كان يسكنها العرب في أيام «سترابو» ولذلك سماها «troglodyte Arabians»

(١) Hastluhs Dictionary of the Bible, P 24

(٢) Breasted, Ancient Records iv, 274 ff and Aistory

(٣) Enex, Biblica, P, 3550,

(٤) Patou, history of Syria and Palestine hastings' Dictionary of the. Bible, P, 673

(٥) التكوين إصحاح ١٤ آية ٦ ، Robinsons' BR P, 2 129, W. M. müller Asien und Europa, 148.

(١) Hastings Dictionary of ute Bible, P, 724

التوراة سفر ١٥ : ١٤ و ٢٣ : ٣١ مزامير ٦٠ : ٨ و ١٠٨ : ٩ أرميا ٢٥ : ٢٠ .

أو « العرب سكنة الكهوف »[١] والذين كان يقال لهم « Erembi » في اليونانية القديمة . ويرى « سترابو » أن هذه الكلمة تصحيف « Arambi » أي « Arâbi » بمعنى «عرب» و « عربي »[٢] .

وفي حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد لعبت الشعوب السامية دوراً هاماً في فلسطين ؛ وقد عرف هؤلاء باسم « الكنعانيين » «Canaanites» والذين يقال لهم « الموريون » «amorites» كذلك . وقد أطلقت التوراة وجميع الكتاب على أرض فلسطين اسم « أرض كنعان » وقد عرفوا في النصوص المصرية باسم «Kinahhi» و« Kinahri ». ويرى بعض العلماء أن «الموريين» أقدم من الكنعانيين ، وأن الكنعانيين هم فرع منهم بدليل تشابه اللهجات والأسماء وعدم تميز التوراة في كثير من المواضع بين الجنسين[٣] .

وكان « حورابي » من ملوك الموريين في العراق . وهم الذين سكنوا سهل « شنعاد » ويرى بعض العلماء أن الموريين هم من أسلاف العرب لوجود تشابه كبير في طرق الحياة والأسماء واللغة فيما بين العرب والموريين[٤] .

ويرى العلماء أن الكنعانيين والموريين ظلوا محافظين على خصائصهم الجسمية وإن كانوا قد بدّلوا ديانتهم فاعتنق قسم كبير منهم الديانة اليهودية ثم اعتنقوا بعد ذلك الديانة المسيحية وتثقفوا بالثقافة الآرامية التي تغلبت على اليهودية أيضاً . ولما تحررت فلسطين من ربقة البيزنطيين وعادت إلى أصحابها الشرعيين كان أكثر هؤلاء قد تثقفوا بالثقافة العربية الآرامية فحاربوا في صفوف المسلمين ضد أبناء دينهم البيزنطيين ، ثم اعتنق أكثرهم الديانة الإسلامية وتكلموا باللغة العربية . وأما الذين فضلوا البقاء على ديانتهم وهي المسيحية فإنهم تكلموا باللغة العربية التي تكلموها قبل الإسلام ولا زالوا يتكلمون بها حتى اليوم ، وقد شاركوا إخوانهم في تقدم بلادهم وفي تقدم الخلافة الإسلامية ولم يكن الدين ليميز بين الطرفين . ولما وقعت الحروب الصليبية اشترك هؤلاء مع إخوانهم المسلمين في مقاومة الغزاة وأبلوا في ذلك بلاء حسناً ولا يزالوا يحاربون من أجل فلسطين .

ويمكن ملاحظة الخواص والمزايا الجسمية واللغوية والصور الكنعانية العمورية حتى الآن بين السكان الفلسطينيين الأصليين وهم الفروبون والفلاحون الذين يمثلون أقدم شعوب فلسطين والذين لم تذهب عنهم مميزاتهم التي ورثوها عن ألوف من السنين وقبل مجيء المهاجرين من اليهود بكثير . والذين لم تتمكن السنون من تغييرهم على الرغم من الحوادث الدامية الطويلة التي جرت على هذه البلاد[١] .

وبالنظر إلى اتصال فلسطين بمصر اتصالا طبيعياً أصبحت مقدراتها ومقدرات مصر مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً كلياً . وهذا أمر هام يجب الالتفات إليه لأن عدم الاهتمام به معناه تجاهل أمر طبيعي من الأمور الفروغ منها . وقد خضعت فلسطين قبل هذا العهد الذي نتحدث عنه إلى الأسر الفرعونية المختلفة . وقد دخلت في أيام « تحتمس الثالث » « حوالي سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد » وفي أيام « أمنهوتب » « امنحوتب الثالث » حوالي سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد » في حكم المصريين تماماً وأصبحت من القاطعات الفرعونية يحكمها ملوك محليون يخضعون لفرعون وللحكام الذين يعينهم عليهم[٢] .

وقد شغل الفرعون « امنحوتب الرابع » بالاصلاحات الدينية التي حاول إدخالها إلى الشعب المصري ومن جملة ذلك عقيدة التوحيد عن إدارة أملاك مصر والشؤون الداخلية المصرية فانتهز أعداؤه هذه الفرصة وثار الحكام في الداخل والخارج على « أمنهوتب » لأنه جاء في نظرهم ببدعة جديدة وأخذت المتلكات المصرية في الخارج تستقل الواحدة بعد الأخرى ومن جملتها مدن فلسطين[٣] .

وتتحدث ألواح « تل العمارنة » عن شعب أخذ يهاجم أرض فلسطين اسمه « Khabiri » « خبيري » وقد ارتأى قسم من علماء التوراة أن هذا الشعب هو «العبري» أو «العبرانيون»

(١) Strabo The Geography. tranoslated by hamilton Sordon 1912 - in Three vols. vol, P. 210

(٢) Strapo p qel 1p, 66

(٣) müller, asien and Europe, S—205 patou Early history of Syria and palastine p 6٩

(٤) زيدان - العرب قبل الإسلام ص ٤٩
Ency Brita xxl p, 651 art Sou Kiug p 140 Dassaud p 109 Babylonion Expedition qolz

(١) Hastogs Dictionary of the Bible p 673 Ency Bibl p, 3550

(٢) hastings Dictionary of the Bibla p 673

(٣) Breasted. history of Egypt. patou. history of Syria and palastice